الفصل السادس

أسلوب وقح وإلحاد سافر

إن الشيوعية فى جوهرها : أسلوب وفكر وعن هذين الأمرين نتحدث هنا .

يقول الأستاذ « لافالى » :

« إن لهجة التهييج والحقد التى يكتب بها الشيوعيون تهاريجهم الطنانة لأشبه شىء بنغمة الموت عند أكلة لحوم البشر » ..

إن لأكلة لحوم البشر نغمة معينة . عندما يكونون مشرفين على أكل لحوم فريسة من بنى البشر . ونغمتهم هذه التى لاإنسانية فيها ، والتى لا طابع لها إلا الحقد والتهييج أقرب شبه لها ، وأنسب تشبيه فيما يتعلق بها لهجة التهييج والحقد التى يكتب بها الشيوعيون ..

ولقد لاحظ المصريون فى الآونة الحاضرة موجة من تهاريجهم الطنانة . كما لاحظوا ذلك من قبل ، وكما سيلاحظونه من بعد .. وستقرأ لهم عما قليل وفيما بعد وباستمرار لهجة التهييج والحقد ، وستقرأ لهم باستمرار تهاريج طنانة لا تعدو أن تكون تهاريج ..

وتأمل فى لهجة التهييج عند الشيوعيين . وتأمل فيما يقوله الأستاذ « لافالى » ، فسترى التشبية دقيقًا كل الدقة ..

ومادام ديدنهم التهييج والحقد ، فإنهم يقولونك مالم تقل ، ويفترون عليك

ما أنت منه براء ، ويكتبون عناوين لا مضمون لها ، ويدعون عليك دعاوى عريضة أنت بعيد منها كل البعد ، ويحاولون الإساءة إليك بكل وسيلة وبكل أسلوب ، لا يتورعون عن الإسفاف المسف . إنها لهجة التهييج والحقد ، وإنها التهاريج الطنانة ..

وتتساءل لماذا هذا ؟ وعن التعليل .. إننى أرى تعليلا لذلك ....

ويرى الأستاذ « هارولد كوكس » فى كتابه « الحرية والاقتصاد » تعليلا آخر ولعلك حين تضم التعليلين الواحد إلى الآخر تكون قد أصبت الحقيقة ..

وإذا انتفى الدين ، وانتفت بانتفائه المثل العليا فإنه لا يتأتى فى تعاليم الشيوعية شىء مثالى أو رفيع ، إنها تستنصر جميع النزوات . وجميع الرذائل ، كالحسد والغيرة والشهوة . إنها تشجع ، أو على الأقل تجيز ، الإتلاف والشطط والخلاعة والإدمان ..

وغايتها : السلب والنهب .

وإذا تصفحت تاريخ الشيوعية فسترى حقيقة أنه ليس فيها شىء مثالى أو رفيع . وذلك أن المثل العليا إنما تكون ثمرة من ثمار التدين ، ومادام الشيوعيون قد أعلنوا أنه لا وجود لله تعالى ، وأن الدين أفيون مخدر للشعوب .. ومادامو قد أعلنوا الحرب ضد الدين ، فإنه لا يتأتى أن يكون فى تعاليمهم شىء مثالى أو رفيع ..

وأبدأ بتعليل الأستاذ «هارولد كوكس»، إنه يقول : « ليس... إلا استنصار جميع النزوات وجميع الرذائل ، والإتلاف على مختلف المجالات .. ولقد شاهدنا ذلك ، وما زلنا نشاهد ، فى هذا الإتلاف الذى يحدث فى

وطننا العزيز ، وفى غيره من الأوطان العربية . بسبب التهاريج الطنانة ، وبسبب استنصار جميع النزوات . . » .

هذا هو تعليل الأستاذ « هارولد كوكس » .

أما تعليلنا نحن ، فإن انعدام المبادئ المثالية . والقيم الرفيعة . مرده إلى الإلحاد الذى بدأ مع بدء الشيوعية ، حينما قال كارل ماركس : « الدين أفيون الشعوب ويجب أن يزول » .

وحينما قال لينين : « نحن لا نؤمن بوجود إله » .

ومنذ ذلك الحين – وهذا جوهر الشيوعية – ونظرة الشيوعيين إنما هى إلى الأرض ، إلى المادة . . لقد أخلدوا إلى الأرض لا يرفعون بصرهم عنها . واتبعوا أهواءهم . . وذلك أن كل من لا يسير على هدى من الدين ، وعلى صراط من الله ، فهو متبع لهواه . .

ولقد بين القرآن الكريم :

١ – أسباب الإلحاد الذى يغمر الشعور الشيوعى .

٢ – وثماره .

٣ – وطابع الشعور الملحد .

٤ – ومايشبهه الملحد الشيوعى من الحيوانات . .

وكل ذلك فى أسلوب رائع ، يقول تعالى :

(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْنَاهُ آياتِنا فَانْسَلَخَ مِنْها فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ فكانَ مِنَ الغاوِينَ . وَلَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بِها وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَواهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ

يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)

(سورة الأعراف ١٧٥ - ١٧٦)

إن آيات الله محيطة بالإنسان من جميع أقطاره فالسماوات من آيات الله . والأرض من آيات الله ، والأشجار من آيات الله ، والأنهار والجبال والمحيطات والنجوم والكواكب . كل ذلك من آيات الله .

هذا الإبداع المحكم الذى يحيط بالإنسان من جميع أقطاره ، هذه الآيات التى تحيط بالناس أينما كانوا ، والتى تنادى بجلال الله وعظمته . . ، حاول بعض الناس الانسلاخ منها فلم يقروا بالألوهية الإقرار السليم .

والتعبير بالانسلاخ من أحكم وأدق وأروع مايكون . .

لقد حاولوا الانسلاخ منها ، وهى ملتصقة بهم التصاق جلد الإنسان بالإنسان ، وانسلخوا منها بعد لأى وعلى خلاف الفطرة . . وعلى وضع لا يتلاءم مع النظام الطبيعى ، وانسلخوا بذلك من محيط الألوهية ، إنهم خرجوا عن سرادق الألوهية ، وخرجوا عن أن يكونوا من عباد الله ، فتهيئوا بصنيعهم هذا ليكونوا من أتباع الشيطان ، وسهل على الشيطان غزوهم ، فغزاهم بخيله ورجله فكانوا من الغاوين ، ولو شاء الله لرفعهم بآياته ، ولكن العيب جاء منهم هم ، إذ أخلدوا إلى الأرض واتبعوا أهواءهم .

ومثل من أخلد إلى الأرض واتبع هواه كمثل الكلب . إن تحمل عليه يلهث . وإن تتركه يلهث . .

ولكن لم يلهث فى كلتا الحالتين ؟

إن الذى أخلد إلى الأرض مهما بسط الله له فى الرزق . فهو ضيق بحياته ، لأنه لا يطمئن إلى شىء روحى يقنعه ، والمادة – مهما أوتى الإنسان منها – فإنها – مادام الإنسان جشعًا – لا تنتهى إلى إرضائه ، لو كان لابن آدم وادٍ من ذهب لطلب ثانيًا ، ولو كان له واديان لطلب ثالثًا . . إذا ضيق الله عليه فى الرزق فإنه يلهث ، وذلك واضح . .

ومن آثر اتباع الهوى فإنه لا يعتمد على هاد يطمئنه ، ولا على اطمئنان يسكنه ، وهو ضيق بالحياة ذرعًا ، لأن هواه لاتحده حدود ، ولأن خياله لا يكبح جماحه مبدأ . ولا خلق كريم . ولا مثل أعلى ثابت . فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث ، وإن تتركه يلهث . .

وهذا المثل ، إنما هو مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله ، وقد أنزله الله تعالى ليتفكر فيه الناس ، وليتعظوا به ، ولعله يقود إلى الهداية والرشاد هؤلاء الذين انحرفوا عنها . .

الكلاب – إذن – تلهث إذا حملت عليها ، وإذا تركتها فإنها تلهث أيضا . .

* * *

إن الشيوعيين لا دين لهم .

لقد أعلنوا فى بيانهم الرسمى «ميثاقهم» وهو ما سموه «المانفستو الشيوعى» أى الميثاق الشيوعى الذى يلتزمونه . وهو ميثاق رسمى صدر عن الهيئة الرسمية للحزب ، قالوا : «الدستور والأخلاق والدين خدعة بورجوازية تتستر من ورائها البورجوازية من أجل مطامعها» .

ويقول لينين : «إننا لا نؤمن بالله . ونحن نعرف كل المعرفة أن أرباب

الكنيسة والإقطاعيين والبورجوازية ، لا يخاطبوننا باسم الله إلا استغلالا » .

ومن قبل لينين ، قال كارل ماركس اليهودى :

إن الدين أفيون الشعوب ، إنه يخدرها بالأمل فى الآخرة والجنة ونحن لا نؤمن بذلك .

ومن بعد لينين ينكر ستالين وجود الله ويقول فى صراحة : إن العالم يسير دون أن يكون له مسير إنه يقول :

« العالم يسير ويتطور ، وسيره وتطوره يتبع قوانين المادة وهو ليس بحاجة لأى عقل كلى يسيره » ، أى أنه ليس بحاجة إلى إله خالق مهيمن عليم خبير .

هذا وليعلم المؤمنون جميعًا المسلمون منهم والمسيحيون . أن الإلحاد والكفر يدرس كمادة أساسية فى الجامعات الروسية وفيه امتحان آخر العام . وقد أرادوا أن يفرضوا دراسة الإلحاد والكفر على الطلبة المسلمين الذين يدرسون فى الاتحاد السوفيتى . فأبى المصريون منهم إباءً شديدًا ، واحتجوا لدى السفارة المصرية . ولما رأى الشيوعيون عزمهم المصمم أعفوهم من دراسة الإلحاد والكفر . ولكنهم كانوا يدرسونها لكل من وجدوا فيه – من الوافدين – استعدادًا لأن يكون عميلا ، ولم يوجد والحمد لله فى الطلبة المصريين من كان عنده هذا الاستعداد .

ومادام الدين قد انتفى وشاع تدريس الإلحاد ، فإنه لا غرابة فى قصة نختم بها هذا الحديث .

لقد كنت فى الحج عام ١٩٧٢ . وفى نهاية الحج ، حدد الملك فيصل – أسبغ الله عليه شآبيب رحمته – موعدًا للقائه وذهبت أنا وبعثة الشرف فى الحج والسفير المصرى وتحدث جلالة الملك عن الإيمان وعما يُدبَّر للمسلمين للقضاء على

الإسلام ، وذكر الشيوعية كعامل مدمر مخرب لكل القيم والمثل الإسلامية . ثم قال :

لقد وصل الأمر بالشيوعيين فى الإقليم الفلانى - لقد ذكر اسم الإقليم - أن علقت فى الشوارع لوحات تقول :

« لاإله إلا الشيوعية » .

وكان منا دهشة وكان منا استغراب ، ولكن جلالة الملك أكد الخبر ومضت الأيام والتقيت بكثير من المقيمين فى ذلك الإقليم فأكدوا لى الخبر ، وبالأمس القريب كنت مع أحدهم فقال : ليس الأمر كذلك فحسب ، وإنما كتب على جدران المساجد عبارات الإلحاد والكفر أيضًا .

هذه هى الشيوعية : إلحاد هو من صميم المذهب ، وكفر من جوهر الدعوة .

فإذا مازعم إنسان أنه شيوعى ومسلم فإنه منافق . أو عميل . أو جاهل . لا يعرف شيوعية ولا إسلامًا ، وإنما تسوقه النقود تصب فى يديه . فينادى بما يطلبه أصحاب النقود .

وبعد : فما من شك أن أسلوب الشيوعية فى النقاش أسلوب وقح . وأن مفهوم الشيوعية يتعارض جذريًا مع الإسلام . والله سبحانه يقول :

(ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه) .

ويقول : (إنَّ الدِّينَ عند الله الإسلام) .

ويقول : (ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم) .